رؤيا في الجنة

رأيت فيما يرى النائم كأني في عالم مبهج لاأدري كيف اصف مناظره وصوره الخلابه كما لاأستطيع ان اصف أرضه الرطبة المخضرة والتي تناثر عليها حصباء الدر والياقوت ومافيها من انهر جاريات يخلبن اللب ويستولين على مشاعر القلب فهناك نهر من لبن وآخر من عسل ، وثالث من خمر ؛ ورأيت ولدانا يلعبون وحواري يمرحن وكل قد اخذ بيده آلة تبعث في سامعها نشوة الايمان وتنقله الى عالم الملكوت ؛ وسمعت اصواتهم وهي اشبه بحفيف الاشجار وهمس الجداول فقلت: اعلى في عالم غير الدنيا وفي ضقع غير الأرض ، وبينما افكر اذ شعرت بانسان لا كالاناسي قبض على منكبي وقال : ومن اي بلاد انت هل من الفردوس ام من عليين ام.. واخذ يعدد علي منازل الجنة وانا اجيبه لا . لا . فقال اذن من اي مكان انت قلت من اهل الدنيا . قال اذن من ادخلك هنا وبينك وبين الوصول الى هذا المكان عقبات كؤود . قلت ألم تسمع بالصحفيين وما يتمتعون به من صلاحيات واسعة بطرقهم اي ناحية ودخولهم اي مكان قال : وما هي مهمتهم . أجبته : اني كشخص زاول هذه المهنة مدة يتستر من المنافقين والمغرضين فهم منها انها رسالة كبرى تعزز الحق وتقاوم الباطل ، وترصد العيوب التي تربك التأريخ وتشوه الحقيقه وتكافح كل من يريد السوء بالدين . فقال هذه مهنة شريفة وواجب مقدس . فهل من اتصف بهذه الصفة هو مصداق لما تقول. اجبته : يختلفون باختلاف تحسسهم واعتقادهم شأن كل من يدعي اعتناق العقيده .

وفي خلال حواري معه رأيته وهو يحدق ببصره وينظرني نظرة لم اعتد لغرضه منها هل الاعجاب ام الاستخفاف ولكنه وهو يسايرني مسايرة الرقيب سألني واين تبتغي بسيرك هذا . قلت مشاهدة الجنة . قال الم تعرف انها لاتقطع بعام اوعامين . قلت وكيف . قال اولست بمسلم . قلت بلى . قال اولم تقرأ الكتاب المجيد « جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين » قلت نعم : قال اذاً انت فاشل في رغبتك . فقلت اهدني الى طريقة اكتشف بها الجنة باسرع مايمكن . قال انتظرني يوما وليلة وساعود اليك بملك من ملائكة الجنة المكلفين بدلالة القاصدين اليها .

بقيت اتجول من دون هدى ولا قصد وسألت حورية وقد مرت علي متبخترة . هل لك ان تعلميني عن اسم المنطقة التي نحن بها الآن فقالت بصوت اشبه باصوات المزامير . تسمى « الفردوس » . قلت وهل لك ان تدليني على « عليين » فقالت بينك وبينها امد بعيد . قلت وكيف الوصول اليها . قالت لقد تعاني من آلام . المرض ، وثورة الضمير ، ومأساتها الحزنية المروعة ...

وفي يوم مشرق كانت الشمس هادئة ، والجو صاف جميل، ذهب الفنان لزيارتها وحين رأته هبت منتصبة وارتاعت لمقدمه ! وقالت له في صوت مرتفع فيه مزيج من الغضب والأسى والاحتقار وهي تشير بيدها الى الخارج : لقد قضيت ليلة رهيبة تذكرت فيها ذلك الطيش ، ولمت نفسي . وقد انتهى كل شيء . ان في نفسي ثورة وفي ضميري مأساة ، واذا فكرت يوما في زيارتي ، فثق ان هناك من لايحب ان يراك .

ومضت اعوام طويلة نسي خلالها كل شي ، وخلعت الايام اردية النسيان على ذلك الماضي . ولكنه رأى ابنته تقبل ذات يوم وبرفقتها احدى زميلاتها في المدرسة واحس بميل لايدري كنهه نحو الزائرة الصغيرة ، وحدق فيها تحديقا قويا ، وتذكر انها ابنتها .. ابنته منها ؛ وتراءت له اطيافها ، ودلف الى حجرته وكانت الشمس ترسل اضواءها على الصورة الباسمة ، ووقف أمامها ينظر في شرود .. وقد بعث الماضي وخيل اليه انها تلتصب في سريرها وفي صوتها نبرات من الاسى والاحتقار ويدها تشير الى الخارج قائلة له : ثق ان هنا من لايحب ان يراك .

القاهرة — ابراهيم محمد دزويش

وعدك اخي الملك ان يعود اليك بكرة ومعه دليل تخبير فهو سيهديك الى ماتريد . فعجبت من هـذا الملم وبقيت افكر في أهل الجنـة وما يتمتعون به من كشف الاسرار وعلم الغيب وخجلت امام تلك الحورية خاصة عندما فارقتني وعلى شفتيها بسمة حسبت انها بسمة الاستخفاف والاستهانة.

قضيت الزمن المضروب بيننا وسط ساحة خضراء فاتنة في بهجتها وروائحها وعجبت لاني لم احتج الى طعام وشراب كأن الهواء الذي استنشقه يغذيني . وبينما انا غارق في بحر من التأملات اذ برفيقي يفاجئني بلبجة مليئة بالادب وقد تخللها بعض التقريع الهادي بقوله: لم تخجل ان تنقض الوعد وتسترشد حورية سائرة مع صديقها الى غايتها . قلت صنعت ذلك بغيـة التعرف بأهل هـذا العالم الرقيق . ولم التفت الا وملك عن يساره ينتظر منه الاشارة فقال اقبض يمين هذا الانسان وارتفع به الى « عليين » حيث تعيش الارواح الطاهرة . لم اشعر الا وقد ارتفعت في الهواء كالريح السريعة فبقيت اسير برفقـة هذا الملك اكثر من سبعين عاما حتى وصلت منطقة مهما توسع الخيال في وصفهـا فلا يستطيع تصويرها . هبطنا على ضحضاح من لبن وبقينا سويعة ننتهل منه ونعب ، ثم خرجنا منـه الى زهور ورياض وبقيت اتمشى وقد فارقني الملك من دون ان يعلمني . واصلت السير واذا بقصور قد صفت على نسق واحد كالجند ، ثم اخـذت استغرب هـــذا الفن العجيب الذي يستشف داخله دون الدخول اليـه قاربت تلك القصور واذا بصور تتحرك داخلهـا وولدان وحواري يمرحون ويختلفون فيها وقد تصاعدت من حولهم اشعة تخطف الابصار . اخذت اتقل الخطى هيبة واعجابا بهذ المخلوق الذى يرفع رائيه الى عالم ملي باللذة والحبور .

قربت من القصر الاول واذا انـا بشخص بذالي انه يفيض قدسية وايمانا وهيبة وجلالا ، اخذت امعن النظر فيـه فائلان هذا انسان يشبهني ولغلي شاهدته غير مرة وكلما حاولت ان اتذكره فلم استطيع غـــير ان ملكا خطف علي لطفلت يسؤاله قائلا من صاحب هذا القصر ، قال : للحجة الشيخ جواد البلاغي قلت وبم استحق ان يكون له مثل هذا القصر قال لي من اي منطقة انت ؟ يعني مناطق الجنة ، قلت له من اهل الدنيا فقال : اعلم ان هذا الانسان الذي استبشرت أهل الجنة بقدومه قدانى دهراً في مكافحة الثالوث وخدمة الاسلام وألف اكثر من ثلاثين كتابا عالج في جميعهـا اسرار التشريع ولو لم يكن منها إلا « الآء الرحمن » لكفى ، وعندما آلست منه التعريف سألته عن القصر المجاور له ولمن فقال : للحجة المحقق الشيخ اغا بزرك الطهراني : الرجل الذي افنى خمسة عقود من زمنكم في تأليف موسوعة ضخمة وهي « الذريعة » وتجرد عن كل مامن شأنه الزهو والتبجح وآثر ان يكون وسيطاً شريفاً بين الحقيقة والناس . وبذلك طمعت ان اواصل اسئلتي فقلت : وهـذا القصر المجاور له لمن فقال للحجة الشيخ عبدالحسين الأميني : فقلت وبم استحق هذا القصر الذي يفيض بالنور قال أولم تقرأ كتاب « الغدير » الذي يقـع في عشرة مجلدات ضخام ، والذي بحث فيه اهم موضوع في الاسلام من كافـة نواحيه الكتاب ـ السنة ـ الأدب ـ فاشبع البحث واحاط به مما دعى الى ان يرفع مكانا عليا ، ولتعلم ان هذا الشيخ الذي اعتكف في بيته خمسة عشر عاما من زمانكم ومثلها بين القاطر والكتب لما دعى كانة الملائكة ان تحييه كل يوم بتحية خاصة وازيدك علماً ان له مقاما محمودا وجاها واسعا عنـد الرب نال ذلك بفضل جهوده والكابه التي لم يبتغ من ورائهـا جزاءا ولا شكورا .

هناك انتفضت كما ينتفض العصفور واخـــذت الصور عظمة الحقيقة ومنزلة عشاقها وما يلاقونه من جزاء ابدي ومن عناية ورعايه ترفعهم فيحلون من [عليين] اشرف بقاعها . اضطربت لهذه المشاهدة وارتعدت فرائصي واخذت اتذكر الزمان الذي نفنيه من دون جدوى ولا فائدة والزمان الذي يفنيه العلمـاء الابرار بنظرتهم البعيدة الى اعزاز الحق واظهاره ، في مثل هذه الرجات الروحيه التي أثرت على نفسي فايقظتها من سبات عميق وغفلة كبرى انتبهت من النوم واذا أنا في عالم اليقظه.

يتبع

البيان